مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد07 / العـدد: 01 (2021)، ص 33- 48

مالك بن نبي والحركة الطلابية

Malik Bin Nabi and the Student Movement

د. دناقة أحمد[1*]، د. طعام عمر[2]
[1] المركز الجامعي افلو (الجزائر)، a.dennaka@cu-aflou.edu.dz
[2] جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)، amar.taam@univ-bechar.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/18 تاريخ القبول: 2021/06/01 تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص:

لقد أتيح لمالك بن نبي أن يحتك بالثقافة الغربية منذ شبابه بفضل دراساته التي تابعها في فرنسا في مرحلته الطلابية، إذ لم يكن الطالب في مرحلته الجامعية طالبا عاديا، بل كان صاحب فكر ورسالة وكلمة وموقف، صاحب مشروع فكري نهضوي حضاري، وبفضل الزخم المعرفي والعلمي الذي كونه أنتج له منهجا خاصا محكما في التفكير، ومنطقا دقيقا في التعامل، وأسلوبا مزج فيه بين بعد النظر والدّقة العلمية والعمق الفلسفي.

لذلك جاء هذا المقال ليسلط الضوء على جزء مهم من مسار مالك بن نبي، لذا سوف نحاول من خلال هذا المقال ربط تشكل المسار العلمي والفكري لمالك بن نبي وعلاقته بالطبقة المثقفة من العلماء والمصلحين والمفكرين والسياسيين في تلك الفترة.

كلمات مفتاحية: مالك بن نبي. الحركة الطلابية.

Abstract:

Malik Bin Nabi was allowed to invoke Western culture since his youth thanks to his studies in France in his student phase, as the student in his university stage was not a regular student, but was the owner of thought, message, word and attitude, owner of a civilized renaissance intellectual project, and thanks to the cognitive and scientific momentum that produced a special approach to thinking.

Therefore, this article came to shed light on an important part of the path of Malik bin Nabi, so we will try through this article to link the formation of the scientific and intellectual path of Malik bin Nabi and his relationship with the educated students of scholars, reformers, thinkers and politicians during that period.

* المؤلف المرسل

Key words Malik bi nabi. Student Movement

1.مقدمة:

استطاع مالك بن نبي منذ شبابه كطالب أن يجمع بين الدقة العلمية والحكمة الفلسفية في تتبع أحوال الظواهر والأشياء وفي تحليل الحوادث والقضايا والمشكلات، وفي اتخاذ المواقف، أسلوبه يقوم على مراعاة طبيعة البشر وفطرته، ويستخدم العقل والمنطق والبراغماتية، ويستفيد من العلم والتاريخ وخبرات وتجارب الآخرين في الماضي والحاضر إلى أبعد الحدود، فكان بحقّ منهجه في التفكير والدراسة والتحليل لا يستقيم وجوده وحاله إلاّ لدى مفكر أو فيلسوف، وبان ذلك بوضوح في سائر كتاباته التي نشرها تحت عنوان كبير "مشكلات الحضارة "(جيلالي، 2015)، من منطلق أنّ مشكلة الإنسان المعاصر في تخلّفه وانحطاطه في أصلها مشكلة تحضر.

فقد اجتمع عدد من الأسباب والظروف عرفتها حياة "الطالب" في الجزائر طفلا وفي فرنسا شابا يطلب العلم، أثّرت في تكوينه النفسي والروحي والديني والسياسي والعلمي والتقني والحضاري عامة، جعلت منه الشاب الطموح إلى تحقيق حرية واستقلال وطنه وشعبه وأمته، وإلى التأسيس لمشروع فكري نهضوي إصلاحي حضاري إنساني بطابع عالمي. مشروع مبني على أسس علمية، ووفق إستراتيجية محكمة ودقيقة، ورؤية فلسفية عميقة وواضحة ذات أبعاد تجمع بين الجانب الروحي والمادي، بين العلم في موضوعيته ودقته وكميته وبين بعد النظر الفلسفي وعمقه ورحابة أفقه وبين ظروف الإنسان الفردية والاجتماعية وسائر طاقاته والإمكانيات المتاحة له، وبأسلوب براغماتي واقعي يضمن للجميع مصالحهم ويضمن مقاصد شرع في الدين الإسلامي، يأخذ المشروع بهذه الصورة طريقه في اتجاه التحقق، إذا تخلّصت الشعوب من الاستعمار ومن القابلية للاستعمار أولا، وأخذت بأسباب وشروط النهضة والحضارة التي تعود في الأصل إلى ما هو

روحي بالدرجة الأولي، وأحاطتها بسياج مكارم الأخلاق وتعاليم الشرع الحنيف (بوكروح، جوهر فكر مالك بن نبي، 2016) .

اجتمعت مواهب الطالب العقلية ونمت وتفتقت بفعل تكوينه الروحي والديني والأخلاقي الذي تلقّاه في أسرته الجزائرية المسلمة المحافظة، وكان تكوينه الأولي قويّا ومتينا، وتبلورت هذه المواهب أكثر بعد سفره إلى باريس، وانخراطه في المجتمع الفرنسي الجديد عليه، وتفتحه على الثقافة الغربية والحياة الأوروبية واطلاعه على الصراع الفكري والإيديولوجي في الغرب الأوروبي وفي البلاد المستعمرة، من خلال الاتجاهات الفكرية والفلسفية والسياسية والدينية وغيرها، وما زاده إلماما بهذا الصراع مشاركاته وإسهاماته الفكرية والصحفية –منذ ان كان طالبا- بالخطب والمحاضرات والمقالات الفكرية في الكثير من الندوات والمؤتمرات، وكان لتكوينه العلمي والتقني في المعهد اللاّسلكي وفي مدرسة الكهرباء والميكانيكا الأثر البارز في تكوين رؤيته في الإصلاح والتغيير لا على أساس العاطفة الدينية أو العاطفة الوطنية، ولا بالطرق الصوفية ولا بموالاة الطغاة والتعاون معهم، لأنّ ذلك كمن ينتظر من سجّانه وجلاده يُسلّمه مفتاح باب السجن ليتحرر منه، فالتغيير يبدأ من الذات ويجري في الواقع وفق منهج علمي في إطار استراتيجية وفلسفة واضحة تحدد المبادئ والأصول والمناهج والوسائل والأهداف، وأي مشروع خارج هذا السياق مصيره الفشل(جيلالي، 2015) .

2.مالك بن نبي الطالب والمفكر:

يقول ملك بن نبي ولدت عام 1905 أي في زمن بدأت تظهر فيه الخطوط الأولى لمجتمع جديد... فأنا إذا أنتمي إلى جيل أصيب بلعنة الزمن حين أقفلت فيه دورة حضارة الإسلام القديمة لتفتح دورة عهد جديد تتضامن فيه روح القابلية للاستعمار من ناحية والاستعمار من ناحية أخرى." هذه العبارات تدل بوضوح على السياق التاريخي الذي أثر على المفكر بالإضافة إلى انتقاله للدراسة في فرنسا سمح له بأن يتعرف على الحضارة الغربية عن قرب وعلى حقيقتها. فلاحظ مالك بن نبي أن هذه الحضارة فارغة من الجانب

الروحي، وتسائل عن ذلك، وحاول أن يجيب في كتبه، ثم انتقد التيارات التي كانت تقود الإصلاح في أربعينات القرن الماضي، واعتبر أن كلاَ الاتجاهين (الديني الذي مثله محمد عبده والاتجاه السياسي الذي مثله جمال الدين الأفغاني) لم يشخص المشكلة، فمشكلة العالم الإسلامي ليست مشكلة عقيدة فالمسلم لم يفقد ثقته بالله ولا مشكلة سياسية، مشكلته هي غياب الحضارة الإسلامية عن التاريخ الإنساني(دحماني، 2020).

فقد كانت مرحلة مفصلية في حياة مالك بن نبي إذ جمع من خلالها بين الدراسة والسياسة بباريس وبمدن وقرى أخرى في فرنسا، كانت مرحلة حافلة بالأحداث والتحولات غيّرت وجه الحياة في العالم بعد كانت ما بين 1930 و1939 أي 9 سنوات، وهو من بلد مستعمَر سافر للدراسة استطاع أن يطلع على ما كان يجري في العالم من أحداث سياسية وتطورات اقتصادية وتحولات اجتماعية وثقافية وتقلّبات عسكرية، بل وتكشف لديه جليا أمر فرنسا ذو الوجهيْن، وأيقن بأنه لا سبيل لتحضر الشعوب المستعمرة إلاّ إذا تخلّصت من الاستعمار ولا يمكنها ذلك إلاّ بالتخلّص من القابلية للاستعمار وهي ظاهرة أخطر من الاستعمار ذاته.

يصف لنا مالك بن نبي قرار سفره الى فرنسا ويعتبره أبرز حدث وقع له في تلك المرحلة، هذا القرار الذي جاء بعد أن سدت في وجهه كل السبل قائلا: وجدت نفسي أقول وأنا متكئ على حافة الباخرة: يا أرضا عقوقا!.. تُطعمين الأجنبي وتتركين أبناءك للجوع، إنني لن أعود إليك إن لم تصبحي حرّة!

لان قرار سفره جاء بعد ذكريات قاسية جاءت بعد وفاة والدته وكانت تصاحبه دوما صورة الحياة المزرية في الجزائر وصورة الحياة في الغرب الأوروبي، وقصصه مع السفارة المصرية والإيطالية والأفغانية والألبانية وغيرها، قصصه مع البوليس الفرنسي الذي كان يراقب نشاطه واتصالاته بأصدقائه، وشعوره بخيبة أمله في الحراك الوطني الجزائري آنذاك، إخفاقاته في الامتحانات وفي طلبه العمل وفي محاولات سفره خارج فرنسا خاصة إلى أرض الحجاز، بؤسه إلى درجة طلبه الموت، هذه الحال يقول بصددها:

إنّ إيطاليا الفاشية لم تعطني الفرصة، و"سودرية" ومدرسة الميكانيكا والكهرباء خيّبا رجائي، والأمين العمودي لم ينشر مقالي في صحيفته، والمؤتمر الجزائري تبخّر، وخاب ظني في الإصلاح والعلماء المصلحين، وأصبحت أتساءل ماذا أفعل؟ بدأ هذا السؤال الذي طالما تردّد في نفسي بعد خروجي مدرسة قسنطينة، يتردّد على ذهني من دون جواب. وبدأت أشتم في نفسي رائحة الغرق (بوكروح ، جوهر فكر مالك بن نبي، 2016) .

بعد وصوله إلى باريس اتصل مالك بن نبي مع المجموعة العربية من الطلاب المصريين والسوريين أي الذين توسم فيهم صفة النخبوية، إلا أنه لم يلمس لدى اغلب الطلبية سواء المصريين أو السوريين بالحي اللاتيني أيإدراك لتلك الهوة والفراغ بين عالمهم والعالم الغربي إذأنهم كانوا منجذبين لترف الحضارة ورونقها، حينها شعر بالخيبة نتيجة عدم الاستجابة غير انه يستثني اثنين أو ثلاثة، مما زاد من اقتناعه أن المشكلة الجزائرية هي مشكلة حضارية وليست مشكلة سياسية، خيبة الأمل هذه زادته إصرارا وغبة في استثمار وقته كاملا في البحث عن استيعاب علوم الغرب كلها على حد تعبيره.(كمال المسقاوي، 2016، الصفحات 106-107) .

حينما وصل مالك بن نبي إلى باريس كطالب كانت الجزائر تسكن جسده وروحه وهو يتأهب لدخول امتحان معهد الدراسات الشرقية كأول خيار له، في بداية هذه المرحلة الجديدة والحافلة من حياته لكن الحظ لم يحالفه في دخول المعهد فدخل الى معهد اللاسلكي، وهكذا بدأ يعبر كطالب عن أفكاره الإصلاحية كما الوطنية، وفي ميدان الحي اللاتيني بين الطلاب آنذاك كان يحتدم الصراع حول وحدة طلاب شمال إفريقيا بين ثلاث أقطاب أساسية: الطرف التونسي الذي يمثله صالح بن يوسف وثامر وسليمان بن سليمان، والطرف المراكشي الذي يمثله بلفريج ومحمد الفاسي، والطرف الجزائري كان بارزا من خلال الانفصاليين من الطلبة الجزائريين المتمسكين بالبربرية وعلى رأسهم عمر نارون.

كانت الإدارة الفرنسية تستثمر في الصراع الفكري بين طلاب شمال إفريقيا لكي يكون لكل مجموعة مكان منفصل عن الآخر، لولا تفطن بعض الطلاب لهذه المؤامرات ومحاولة التصدي لها من بينهم بن ساعي وكمال عمر المسقاوي هذا الأخير الذي سعى لالتزام الكفاح حول الأمية الجزائرية، في خضم هذا الصراع الفكري والاديولوجي أعلن بن نبي انضمامه لوحدة الشمال الإفريقي يخفي شيئا مقررا في نفسه عبر عنه من خلال قوله: عندما تنتصر فكرة الوحدة سأكون حلقة الوصل بينها وبين وحدة الشبان البارسيين ليلتقي فيها بنو قومي دروسا في أمور ربما عجزت حينذاك عن تسميتها وإنما سميتها اليوم دروسا في الفعالية والأسلوب، وبكلمة واحدة في الحضارة لقد كانت تلك رغبتي في تلك الفترة لكن لم تسعفني الظروف على تحقيقها إذ لم يتبعني في المغامرة على الضفة المسيحية سوى محمد بن الساعي والهادي نويرة.

وفي خضم التحولات الجارية وموقفه منها يقول مالك بن نبي: وبلغت الأزمة أوجها يوم 27 أيلول "سبتمبر"، فنظمت ذلك اليوم الحركات اليسارية تظاهرة دعي إليها النادي فكنت ممثله، وبدأت في القاعة المكتظة الخطب حسب التقليد المألوف، فأتى دوري فتلخص خطابي في اقتراح: يجب على هذا المؤتمر للقوى التقدمية أن يوجه اليوم برقية إلى الحكومة يطالبها بمنح شعوب الشمال الإفريقي حقوقها، حتى تدخل المعركة من أجل الديمقراطية شاعرة بكرامتها لا بوصفها مرتزقة. في آخر الجلسة قرأت على الحاضرين لائحة التوصيات، فلم أجد فيها اقتراحي ولا مجرد التلميح إليه، اقتحمْتُ المنصةَ لألفت النظر إلى هذا النسيان ولم أصرح بأنّه تناسٍ، فهاجتالقاعة وخصوصا السيدات تهتف لي(بن نبي ، 1984، الصفحات 60-65) .

هذه التجربة الأولى لمنطلقات مالك بن نبي كطالب التي سوف تؤسس فيما بعد لمنطلقات رؤيته الفكرية التي أخذت الأيام تمنحها فعالية ومنهجا، إذ يعلق على هذه المبادرة من خلال المقارنة بين البنية الفكرية العربية والحضارة الأوربية في مساحة المحيط الباريسي من خلال قوله: لا أدري إن لاحظت في هذه المناسبة وقد كان ذلك بينا أنالنخبة

الإسلاميةقد استولى عليها حب الظهورفي المراتب السياسية، فقد أهملت المشكلات الرئيسية التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم، بينما لو كان لهذه النخبة نصيب من الإدراك والنزاهة والتواضع لحلت تلك المشكلات منذ ثلاثين سنة. أنني اليوم أرى هذا بكل وضوح أما في تلك الفترة البعيدة فكان حسبي أنأدعو فقط في الحي اللاتيني للإصلاح والوهابية والوحدة المغربية التي كانت تغطي معنى واحدا في الإسلام (بن نبي ، 1984، الصفحات 66-58.)

كان حضور مالك بن نبي بداية العام الدراسي (1930-1931) بالإضافة إلىأجواء الحي اللاتيني يتزامن مع الاستعدادات الجارية لمعرض باريس السنوي وقد تجلى في ذلك المعرض كل ما ينتجه الاستعمار وما تنتجه المستعمرات من فنون إذ كانت تحتفل فرنسا بمناسبة مرور 100 سنة على احتلال الجزائر، وكانت تعتبر أول تجربة لمالك بن نبي في فضاء الاستعمار ومن خلال المعرض لاحظ بن نبي إعلان عابر قد مس منه عمق المشاعر الإسلامية في داخله إذ كانت مؤسسة للملابس لديها ماركة تسمى (البا) وقد وضعت في جناحها لافتة مكتوب عليها "محمد مات بعد إن اعترف إن لا إلاه إلاالبا" وعبر عن ألمه من خلال قولهلقد ترك ذلك في ذاكرتي جرحا عميقا لم استطع تحمله فذهبت إلى الحي اللاتيني أصب غضبي واستنهض ضمير إخوتي من الطبقة الجزائرية فلم أوفق، ثم ذهبت إلى مسجد باريس لعلي أجد المشرف على المسجد فلم أجده..رجعت إلى غرفتي في ساعة متأخرة من الليل والأسى يصك عظامي وألقيت نفسي على السرير ثم انطلقت من شفتي لعنة على من يتجرأ هذه الجرأة العمياء على حرمة النبي وأنهيت اللعنة في صورة تضرع يا الله إن النبي تمس كرامته ولا تزلزل الأرض(بوكروح، جوهر فكر مالك بن نبي، 2016) .

كانت أجواء الحي اللاتيني والطلاب القادمين من الشمال الإفريقي وهم يحملون في عمق تكوينهم الاجتماعي بذور ما سوف يسميه مالك بن نبي فيما بعد ب "مجتمع ما بعد الموحدين" و "القابلية للاستعمار" كان يؤمن بالعمل الجماعي لمواجهة هذا المشكل، ومن بوادره استغلال وجود صديقه حمودة بن الساعي في باريس الذي كان يدرس الفلسفة

فاختاره مالك بن نبي باعتباره ساحة فلسفية واسعة واختار بن الساعي هو الآخر مالك لأنه يتمتع بمنهجية رياضية من اجل السعي في فاعلية التأثير فيمن حولهم، إذ يقول بهذا الصدد: لم أكنأعلم إن العمل الجماعي بما يفرض من تبعات إنما هو من المقومات التي فقدها المجتمع الإسلامي ثم لم يسترجعها خصوصا بين مثقفيه، وكنت أجل أيضا فيما يخص شخص صديقي انه كان يعاني حالة عدم توازن مشؤوم يجمع بين طموح جبار وإرادة واهية، فقد كان طموحه يعرقله عن العمل المشترك الخاضع لإرادتينا وضعف إرادته يعطله عن العمل الفردي لكنه كان الوحيد من جيلي الجزائري الذي استطيع العمل الفكري معه .

بدأ مالك بن نبي من خلال أعماله ومناقشاته الفكرية مع بن ساعي يؤسس لأفاق طموح جديد تبلور من خلال الحصول على معرفة واسعة بالشؤون الإسلامية رغم انه لم ينجز معه أي عمل بعيد المدى عدا الأعمال اليومية التي تصب في خدمة الطلبة المغاربة في الحي اللاتيني.

كان نادي الطلبة المغاربة هو نادي المثاليين ولذلك كانت المحاضرات التي تلقى فيه تلقى مجالا من الشهرة لذلك رأى مالك بن نبي أن يقدم لأول مرة محاضرة تحت عنوان: "لماذا نحن مسلمون؟". كانت المحاضرة أواخر شهر ديسمبر 1931 وقد تناول الموضوع فيها مستندا إلى تاريخ الشمال الإفريقي، إذ يعلق مالك بن نبي على ردود الفعل حول المحاضرة بقوله: عندما انتهيت من المحاضرة انطلق صوت من الحاضرين لماذا نلتفت دائما نحو الماضي؟ أجبته ارتجالا بّأن الروح تصنع المادة فقام صالح بن يوسف يعانقني فيما أطلق علي محمد الفاسي لقب زعيم الوحدة المغاربية...لكنني لم أكنأدرك ذلك الحين وأناأتلذذ بانتصاري في نادي الطلبة زاهيا باللقب الجديد الذي أهدانيإياه محمد الفاسي والذي أصبحت بسببه وجها من وجوه هذه الوحدة، لم أدرك نتائجه التي لازمتني مدى الحياة (كمال المسقاوي، 2016، صفحة 91) .

إذ يروي مالك بن نبي انه تعرض على اثر هذه المحاضرة مباشرة للمساءلة من طرف البوليس الفرنسي، وكان الرد سريعا من قبل الإدارة الفرنسية عن طريق معاقبة الإدارة الفرنسية الاستعمارية والده بنقله من طرف رئيسه فاضطر الوالد إلى طلب إجازة ولم يعد إلى عمله حتى وافته المنية ومن المحطات التي أثّرت فيه وفي حياته فضاعت حقوقه كلّها بوصفه موظفا وكان ذلك بسبب مواقف الصديق السياسية والإيديولوجية من الاستعمار.

تجدر الإشارةإلىحدث هام هو لمّا حقَّق اليسار الفرنسي انتصاره الأول في الانتخابات التشريعية التي جرت سنة 1936، قام ليون بلوم (**Léon Blum**) بتشكيل حكومته من الجبهة الشعبية. أما في الجزائر العاصمة فكان يجري الإعداد لحدَثٍ هامٍّ يتمثل في تشكيل المؤتمر الإسلامي الجزائري المتكون من جمعية العلماء المسلمين، وفيدرالية المُنْتَخبين، والحزب الشيوعي الجزائريّ. وكان الهدف من ذلك هو لفت انتباه السلطة الجديدة إلى الأوضاع السائدة في الجزائر. كان ابن باديس هو صاحب فكرة عقد هذا المؤتمر، إذ كان الشيخ يرى أن الفرصة سانحة مع بروز اليسار الفرنسي لإعداد قانون أحسن للجزائريين. وقد تبلورت الفكرة عندما بادرت فيدرالية المنتخبين وجمعية العلماء بنشر "نداء إلى المسلمين الجزائريين" من أجل عقد مؤتمر. ومما جاء في الميثاق المصادق عليه في النهاية المطالبة بإلغاء القوانين الاستثنائية، وإلغاء هيئات "الحكومة العامة" (**Gouverneurgénéral**)، والبلديات المختلطة (**communes mixtes**) ، والمندوبيات المالية (**Délégationsfinancières**) ، وإلحاق عمالات الجزائر الثلاثة (**départements**) بفرنسا، والإبقاء على قانون الأحوال الشخصية للمسلمين، وحرية تعليم اللغة العربية، والتعليم الإجباري للأطفال من كلا الجنسين، والمساواة مع الفرنسيين في الحقوق والواجبات، وحق الانتخاب على قدم المساواة مع الأوروبيين في التصويت العام، التمثيل في البرلمان الفرنسي، وإرسال وفد من المؤتمر إلى باريس لتقديم نسخة من الميثاق للسيد ليون بلوم، رئيس المجلس.

وجرى استقبال الوفد الذي ترأّسه الدكتور صالح بن جلول، وهو رئيس فيدرالية المنتخبين المحليين "الأهالي" (الأنديجان)، بتاريخ 23 جويلية 1936 لدى رئيس الحكومة ليون بلوم والنائب موريس فيوليت **Maurice Viollette**(بوكروح ، جوهر فكر مالك بن نبي، 2016).

وقد تعجب بن نبي الذي كان يتابع دراسته كمهندس في الكهرباء في فرنسا، ومعه مجموعة من الأصدقاء من الطلبة المسلمين المغاربة، مِنْ هذه المبادرة السياسية. ولذلك قرروا زيارة الوفد الذي نزل في إحدى الفنادق الكبرى بباريس، وهناك لاحظوا المفارقة الشاسعة بين منظر الشيوخ بـ (عباياتهم) البيضاء وبين ذلك المكان الذي يزدحم بالنجوم والخَدَمِ.

وكان لهم لقاء مع الشيخ ابن باديس والبشير الإبراهيمي والطيب العقبي، ومع رجُلَي السياسة فرحات عباس وبن جلول، ومع الصحفي الأمين العمودي. ووجّه بن نبي كلامه للعلماء مُعبِّرا عن خيبة أمل مجموعته التي لم تفهم كيف أن هذا التجمع من الأحزاب وقع في خطأ المطالبة والاستجداء بعد أن كانت تلك الأحزاب معقد آمال الجماهير. وممّا قاله لهم : "ماذا تريدون أن تفعلوا هنا؟ إنّ الحلَّ في الجزائر ! الحلّ بين أيديكم وليس بأيدي الحكومة الفرنسية... "(نور الدين، 2019).

ساهم بن نبي في جمعية طلبة شمال إفريقيا بفرنسا كما كان احتكاك الجمعية بنجم شمال إفريقيا من خلال عقد العديد من الاجتماعات بين مصالي الحاج ومالك بن نبي وأحمد بن ميلاد وقد توجت هذه الاجتماعات بعقد مؤتمر كبير للنجم حضره عدد معتبر من العمال والطلبة وبعض الشخصيات الفرنسية، ساهم أعضاء الجمعية في إنجاحه وحسن تنظيمه ثم نتج عن ذلك انخراط الطلبة بقوة في صفوف النجم والمشاركة في أنشطته والمساهمة بكتاباتهم في جريدة الأمة(**Robert Ageron**، 1983، الصفحات 28-36) .

أسّس في هذا الوقت بن نبي برفقة نخبة من المثقفين العرب في باريس "جمعية الوحدة العربية" التي يصفها بقوله: وكأنّما كانت هذه الدعوة كما يتبيّن للقارئ مقدمة للجامعة العربية الحالية...وفي نهاية المطاف أصبح "محمد الفاسي وبلفريجوالطوريس" يمثلون مراكش في الوحدة و"بن ميلاد" مع بعض مواطنيه يمثلون تونس، وأصبحت أنا أمثل الجزائر. وكانت سوريا مع لبنان، ممثلة في شخص فريد زين الدين وبعض مواطنيه ممن يقرضون الشعر. فكانوا عند افتتاح أو ختام كل جلسة، يشنفون مسامعنا بآخر قصيدة لهم في تمجيد العرب (بن نبي ، 1984، صفحة 250).

أشرف على إدارة المؤتمر الجزائري الإسلامي بمرسيليا، الذي أسّسه عدد من المثقفين الجزائريين لأجل تعليم وتثقيف العمال الجزائريين، فتعلّموا حساب اللانهاية والجغرافيا، ودروس في السياسة والأخلاق، سرعانما أقفل الاستعمار مركز المؤتمر الجزائري الإسلامي وعاد هو وزوجه إلى تبسة، وتعاون مع الشيخ "العربي التبسي"، رغم أنه كان يختلف معه في طريقة التفكير وفي أسلوب تحليل القضايا والأحداث والحكم عليها واتخاذ القرارات.

وتؤرخ المذكرات لمشاركات صاحبها ونضاله في الحركة الوطنية بفرنسا، خاصة عندما تتاح له الفرصة للتعبير عن مطالب الجزائريين في الحياة الحرة والعيش الكريم وفي تقرير المصير والحق في الاستقلال، ومن مشاركاته تلك التي أسهم بها عندما كان مديرا للمركز الجزائري الإسلامي، ففي الوقت الذي كانت فيه المناضلون الجزائريون في الجزائر وخارج الجزائر منقسمين إلى وحدويين ومنشقين، وفي الوقت الذي دوى فيه صوت "هتلر" و"موسيليني" في العالم ينذر بانفجار الحرب مع أزمة تشيكوسلوفاكيا يصف مالك بن نبي في مذكراته الأوضاع العامة والخاصة بالجزائر وبفرنسا وحتى في العالم.

أرادأن يدرس في معهد الدراسات الشرقية لكن ما سنيون رفض ذلك الذي قرب إليهأركون وكل من تبنى الرؤيا الاستشراقية الفرنسية لتاريخ الإسلام وتاريخ الجزائر، واستبعد مالك بن نبي وأستاذه حمودة بن الساعي(كمال المسقاوي، 2016).

2.انتقاده للحركة الإصلاحية منذ كان طالبا:

شخص ذهنية العالم الإسلامي تجاه العدو والاستعمار وهو أننا نواجه الخصم بذهنية البحث عن البطولة والدفاع عن الشرف وليس بذهنية صناعة التاريخ هدفنا ليس تغيير أوضاعنا ولكن الدافع الأساسي للمقاومة هو أن شرفننا لا يسمح لنا أن نبقى مكتوفي الأيدي بل أن نموت ونحن نكافح، كما يرى أن السياسيين الذين رفعوا شعار المقاومة لم يسعوا لبناء مجتمع يقاوم الاستعمار بقدر ما كانوا ينادون بالشعارات المطلبية كالمطالبة بحقوق الأهالي دون أن يعيدوا بعث نفسية الإنسان الجزائري الذي انتهى نفسه الحضاري حسب مالك بن نبي ودب فيه اعتقاد أن فرنسا هي قوة غير قابلة أن تقهر، ورأى أنه إذاأردناأن نبني مستقبل جديد ينبغي لنا أن نكف عن ممارسة العمل السياسي بالمعنى المطلبي وننتقل إلى بناء الأفكار فكانت بالنسبة إليه جمعية العلماء المسلمين هي من أخذت زمام المبادرة من خلال رفع شعار أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

انقد العلماء من خلال انعقاد مؤتمر 1936 الإسلامي الجزائري الذي ضم كل القوى السياسية في الجزائر بما فيها الشيوعيين والاندماجيين والوطنيين للمطالبة بالحقوق، جاء انتقاده للعلماء لأنهم سلموا القيادة للسياسيين بحيث كان الأجدر بهم أن يأخذوا زمام المبادة بأنفسهم لأنهمالأجدروالأقدرإذ رأى انه من خلال هذا المؤتمر بدا نوع من الانحراف والوثنية لان السياسي لا يبني وعيا بقدر ما يبني للجهل بالسنن والحقائق(جيلالي، 2015).

رأى أن الشباب والطلبة المسلمين الذين يذهبون إلى الغرب يقومون بتكديس الأفكار كما يقومون بتكديس الأشياء فهم لا يعدون بأفكار بقدر ما يكدسون شهادات إذا أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها وليست المنتجات المكدسة من تولد الحضارة.

3.مالك بن نبي الطالب والحركات التحررية

أبدى مالك بن نبي تأييده وإعجابه بجبهة الإصلاح الديني والاجتماعي بعد ان يختار التجديد الثوري منهجا بسبب الجمود الفكري الذي اكتشفه في تلك التيارات وغدا مركزا على مؤكدا على وجود القابلية للاستعمار في الشعب المستعمر، مما كلفه عداوة الجناح

المتحكم في زمام الحركة الوطنية من الخمسينيات إلى سنوات الاستقلال الأولى، إذ وجد الوطنيون في هذه الفكرة إساءة للشعب ودحضا للأفكار الوطنية التي اتخذوها نهجا وشعارا لحركتهم، ونتج عن ذلك أن مالك بن نبي لم يكن في علاقة طيبة مع قيادة الثورة ثم مع القيادة السياسية بعد الاستقلال، ووضع في خانة المغضوب عليهم بسبب نقده اللاذع وصراحته التي لا حدود لها.

عايش مالك بن نبي اتصال مصالي الحاج بجمعية الطلبة لوحدة شمال إفريقيا، إذ نشأت فكرة إعادة تجديد حزب نجم شمال إفريقيا الذي أفل بباريس بعد ذهاب الأمير خالد، ووصف الاجتماع بأنه كان مباراة في الفصاحة ابرز كل ما عنده من الحاضرين، ثم تابع توالي الاجتماعات وشخصها ببداية المرض الجديد الذي سيجتاح الجزائر ويبدد طاقاتها في الظهور والتظاهر الذي استولى على الوطن طيلة ربع قرن إذ يقول بصدد ذلك: إن المرض الجديد كان في بعض جوانبه شفاء إذا قدرنا أن الجزائر خرجت من العدم لتخرج في عهد التظاهر، بالإضافة إلىأن المظاهرات الصاخبة وما تخللها من حملات انتخابية تشرف عليها الإدارة الاستعمارية كان لها الفضل في توعية الشعب الجزائري، لكن هذا التقدير خطأ لان الجزائر لم تنطلق من نقطة الصفر بل انطلقت من ميدان المعارك الطاحنة التي خاضتها تحت لواء الإصلاح ولواء المؤتمر الإسلامي، وانني لا أرى في تلك الحركات الحزبية مسرعا لخطوات الشعب نحو الثورة بل هي مسؤولة عن أوانهاإلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، هذه هي الحقيقة فلولا تدخل مصالي الحاج في الأمر لما وجدت الجزائر نفسها كثير من المشكلات التي عانتها بعد الاستقلال بدون طائل(جيلالي، 2015)

وهكذا يتحدث مالك بن نبي عن بداية تكون فكرة ما سماه **La Boulitique** وهو تحريف لكلمة **Poulitique** التي تشير إلى السياسة التي تستغل جهل الجماهير دون أن تقدم لهم حلا وقد وصف مالك بن نبي حضوره هو وزوجته الى حفل افتتاح الحزب، ووصف خطاب مصالي الحاج في الحفل بقوله: قد يكون هناك تفاوت بين الأفراد لكن لا

تفاوت بين الشعوب...كنت أصرخ إعجابا وانتقل أثناء الخطاب في القاعة للاطلاع على انطباع المستمعين...استمرت الحفلة في فصولها ووقع في أعماق شعوري في تلك الليلة التمزق الأول بيني وبين الحزب ورغم الصلات التي بقيت وحافظت عليها...غير أن هذا الحنين تحول شيئا فشيئا إلى شك(بن نبي ، 1984).

يصفلنا مالك بن نبي أن نجم شمال أفريقيا ودور الزعيم مصالي الحاج هو صدى ما جاء من الشرق من لبنان إذ كان الأمير شكيب أرسلان في هذه الفترة لاجئا في جنيف وكان يصدر مع احد المصريين جريدة الأمة العربية. وكانت تصل إلى الطلبة بالحي اللاتيني وهكذا تعرف بن نبي على فريد زين الدين*، الذي كان على صلة بالأمير شكيب أرسلان ومكلفا من قبله بدعوة الطلبة الى الوحدة العربية.

جرت نقاشات متنوعة علمية وسياسية وكانت كلها تدور حول محور الإسلامالأمر الذي جعل مالك يستفيد من خبرة صديقه حمودة بن الساعي وسعة اطلاعه، لقد حافظ على صلته بالوطنيين وتمكن من إقناع بن الساعي بفكرة إنشاء مدرسة باريسية مسائية لتعليم الأميين اعتقادا منهم بان التعليم الحر هو بالفعل ميدان المساهمة الفاعلة من الزاوية السياسية للطلبة الذين كان بمقدورهم استعمال وقت فراغهم في سبيل هذه المهمة وكان هذا المسعى مستلهما من الجامعة الشعبية التي أسسها الحزب الشيوعي الفرنسي بباريس لصالح العمال الفرنسيين. ومن هنا فقد عرض الأخوين بن الساعي على مصالي الحاج فكرة المدرسة لكنه اكتفى بمجرد الوعد بأنها سوف تنجز ثم ذهبت الفكرة إذ فسر بن نبي هذا الصرف لمصالي الحاج بأنه قد يكون فسر المبادرة على أنها منافسة له أو محاولة لخطف بعض الأضواء من حوله إذ يقول بهذا الصدد : مما جعلني أقول في نفسي لعله يرى في تدخلنا في حياة عمالنا الجزائريين أننا نحب أن نستولي على تعاطف بعض أنصاره.

عرج مالك بن نبي على نادي الترقي الذي يقوده الشيخ العقبي من اجل الحضور الى المؤتمر السنوي لجمعية الطلبة الذي تقرر عقده في الجزائر وكان أول ما فاجأه صورة

كبيرة للحاكم العام فيوليت معلقة على حيطان النادي(بوكروح ، جوهر فكر مالك بن نبي، 2016).

بالنظر إلى روح النقد والأسلوب اللاذع الذي عاد بهما بعد انتهاء دراسته، فقد وجد بن نبي نفسه في عزلة تامة عن الأوساط الفكرية والسياسية الجزائرية في تلك الفترة بداية بالرد على مقال فرحات عباس الشهير، وتعاقبت الأحداث حتى صار بن نبي مزعجا اذ جلب لنفسه حقد الحاقدين بسبب عنفه الكلامي ونقده الدائم وبسبب المصطلحات الجديدة والجارحة في نفس الوقت التي كان ينحتها من حين لأخر مثل: (القابلية للاستعمار، مرضى الفكر، المتعالمون، الزعيم، والزويعم، والعالم والعويلم، والخائن والخويئن)، وهم يردون عليه بأنه متعالي عن الواقع ويسبح في فضاء الفلسفة في الوقت الذي يرهن فيه غيره لمعالجة المشاكل الواقعية والفعلية، وينعون عليه الاكتفاء بدور الناقد والمراقب للفعل السياسي وابتعاده عن الحركة الوطنية ثم عن حركة التحرير بعد ذلك، ووصلوا إلى حد اتهامه بقلة الروح الوطنية بحكم أن جل فكره يميل إلى العالمية رغم منطلقاته الوطنية (بن نبي ، 1984، الصفحات 289-291) .

4.خاتمة:

تكشف المذكرات عن نضال صاحبها السياسي وفي ميدان الحركة الوطنية، كما تكشف عن مواقفه من الاستعمار ومن الأحداث والتطورات التي عرفتها المرحلة المحلية الجزائرية والإقليمية العربية الإسلامية والدولية، كما تكشف عن رؤاه النقدية في المنهج الإصلاحي السائد وفي مواقف التيارات الفكرية والسياسية الجزائرية التي نشطت في الجزائر وفي فرنسا، وفي مواقف زعماء هذه التيارات، وفي مواقف جمعية العلماء المسلمين التي كانت مواقفه أقرب إلى خطها من غيرها، كما تصدّى بفكره النيّر العلمي والفلسفي النقدي لبعض النزعات الصوفية التسكينية الأخطر على الدين والأمة من عملاء الاستعمار.

مات مالك بن نبي سنة 1973 ولم يدخر في رصيده غير المتاعب والمخاوف لم يسلم حتى من بني جلدته من الساسة والعلماء، رغم أن هدفهم وهدفه مشترك لكن اختلف معهم في طريقة تحقيق ذلك الهدف فكانوا له بالمرصاد وزرعوا في طريقه الأشواك، وهكذا غدا الزمن الذي عاشه يسجل كأسوأ زمن ممكن أن يعيشه مفكر على وجه الأرض.

5.قائمة المراجع

مالك بن نبي . (1984). مالك بن نبي، مذكران شاهد للقرن (الإصدار 2). دمشق- سوريا: دار الفكر المعاصر.

نور الدين بوكروح . (2016). جوهر فكر مالك بن نبي. (المترجمون،عبد الحميد حسان) الجزائر: دار سمر.

نور الدين بوكروح. (2016). جوهر فكر مالك بن نبي. (المترجمون عبد الحميد ساعي بن حسان) الجزائر: دار سمر.

أبو بكر جيلالي. (2105 2019, 2015). *صحيفة المثقف*. تم الاسترداد من المثقف: www.almothaqaf.com

بوكروح نور الدين. (17 05, 2019). *الحوار*. تم الاسترداد من http://elhiwardz.com

عمر كمال المسقاوي. (2016). *في صحبة مالك بن نبي* (المجلد 1). الجزائر: دار بين مرابط.

لينا دحماني. (06 04, 2020). *عرب برف*. تم الاسترداد من عرب برف: http://arabprf.com/

Charles Robert Ageron. (23 7, 1983). l Association des Etudiants Musulmans Nord Africains en France durant l'entre Deux Guerres. Revue d'Histoire d'Autre Mer t ,IXX, 1983,(08) ،28.